الكتابة حضور في خريطة اليتم

مالك الريماوي

«التعلّم من دون تفكير جهد ضائع، والتفكير من دون تعلّم أمر خطير».
كونفوشيوس

قصص المعلمين كتابة، والكتابة بالنسبة للزمن، هي مثل النار التي تعيد للحطب، روح الغابة واخضرارها. الكتابة فن من فنون العبور، العبور إلى الإبداع، أو العبور إلى ما وراء الظاهر، الظاهر هو جريان الزمن، الزمن في الساعة، زمن الساعة مجرد تكتكة، الكتابة هي التقاط لساعة أخرى، ساعة تكتكتها نبضٌ، هي ساعة القلب وزمنه، «إنها تمضي من خلفك بسرعة لا تكاد تدركها إلا حين تتوقف في أفنيتك البعيدة».[1] الكتابة هي فن السير على إيقاع ساعة القلب، لحظة من فن الضبط، إعادة ضبط العالم وساعاته لإيقاع جديد، إيقاعٌ دقاته نبض حيوي، نبض الهابط إلى عالمه الداخلي (عالم البدروم) كما تقول المعلمة علا بدوي، هناك نعبر خلف الظاهر وراء المرئي «أراني أسير في تلك الأفنية بذهول من هبط إلى البدروم باحثاً عن أشياء معينة، ففاجأه تراكم الأغراض، وفاجأته الأغراض نفسها».[2]

الأمر هنا لا يتعلق بالرؤيا فقط، الأمر كلُّه يتعلق باختراق كثافة المرئي، فالرؤيا بلا حدس هي نوع محدود من العماء. لكن الرؤيا في الكتابة هي فك لشيفرة المحجوب وتجاوز لحدود الظاهر، الأغراض مفاجأة، وتراكمها مفاجأة أخرى، تلاحم الأغراض، وذوبان معناها في بوتقة الذكرى وتحت ضربات عقارب ساعة صدئة، حيث «قد صارت وكأنّها جميعاً غرض واحد متعدّد الملامح».[3]

الكتابة اختراق للوهم والمسافة

نرى في قصة علا بدوي، طفلة تذرع العالم، العالم الذي كان حلقة صغيرة من الأهل، دائرة يجلس فيها الأهل، الأب يحملها رسالة لتنقلها، «عمّو ... يقول لك البابا ... كلّم التاتا»،[4] طفلة تحمل الرسالة وتقطع بها المسافة بين الأب والعم «وكأني حين أتحرك بينهما أقطع الطريق العام الذي يربط طريفْ مدينتي»،[5] مسافة تعكس مسافة أخرى بين قدرة داخلية تجلت في فهم الرسالة، وبين قدرة خارجية في نطقها.

علا المعلمة ما زالت تقطع تلك المسافة، بين قناعتها بكونها معلمة جيدة، وبين لحظات شك لا تطرحها إلا معلمة قادرة على تجاوز مسافاتها، «كنت أشعر بفشلي ... وأغادر المدرسة إلى بيتي، أحمل صراعاً بين حاجتي للعمل وبين صورتي لذاتي بأني لا أجيد أن أكون معلمة».[6]

متى يبدأ الأطفال في تأمل حياتهم؟ وكيف يمكن لطفلة في الثامنة من العمر أن تكتب سيرتها؟ هذا ما تتذكره علا بدوي وهي تكتب قصتها اليوم: ترسم لنا صورة طفلة في أرجوحة، طفلة تقيم سنتين في الروضة ومثلهما في المدرسة، أليست هذه تجربة تستحق التأمل، من يتأمل في هذه اللحظات؟ هل المعلمة تتأمل الطفلة التي تقيم تجربتها وهي في الأرجوحة، أم أن الطفلة الجالسة في أرجوحتها استيقظت اليوم لتقيم تجربة المعلمة، لذا الطفلة تسأل من أصبحت معلمة: «ألهذا أصبحت معلّمة؟».[7]

تحضر الطفلة ومناديلها البيضاء وقطرات العطر التي كانت تسرقها خلسة من غرفة عمتها المعلمة، تعود مع دفتر ولوح صغير لتكتب لنا تاريخ المعلمة، وعدتها الأولى في اللعب والتعليم.

مجاز شاهد

إن ما يكتب هنا يتجاوز الشهادة، لأنه بحث في صيغة قصة، وقصة في سياق بحث، فإذا كانت سحر جبارين أو رجاء سرور تروي القصة وعلا بدوي تبحث فيها، فكلتاهما تسرد القصة، وترى التاريخ فيها، كما أن محمد عوض وثائر صلاح يكتبان التاريخ بحثاً عن القصة، قصتهما وقصة شعب مثّلا مجازاً لبحثه، هنا قصة في البحث، البحث في الماضي عن معانٍ كتبت بالألم، والبحث في قصة كان التيه

أول معالمها، لكنه التيه الذي يواجّه بالإرادة؛ إرادة البحث عن الذات عبر الفعل، فعل يتجاوز خيالية القصة ويبدو أكثر عنفاً منها.

فكما تروي سحر جبارين قصة الانسداد؛ انسداد الطرق لبيتها لتودع أخيها الشهيد، «سجلت في جامعة بيرزيت كلية الهندسة، وبعد مرور سنتين كانت حادثة استشهاد أخي الأصغر أسامة (رحمه الله) بتاريخ 2002/4/28، وقد حال اجتياح الضفة ووجود الحواجز على الطرق، دون وصولي إلى بلدتي سعير لحضور جنازة أخي، فقد وصلت بعد أن ووري جثمانه الطاهر الثرى، حيث كنت في بيرزيت، وقد أصبحت هذه الحادثة تاريخاً يفصل بين قبل وبعد».[8]

إن قصة محمد عوض، قصة المرشد التربوي الذي بدأ حياته من إنجازه الصغير، أول خريج ثانوية في أسرته، ليحمل حمله وينتقل به في قاعات جامعة بيرزيت وكلياتها، من محاسب في بنك «موظف يرتدي بدلته الرسمية متجها إلى البنك أو الشركة التي يعمل بها، هي الصورة التي كنت أرسمها في مخيلتي طوال عام كامل»[9] إلى مرشد تربوي في المدرسة.

مرشد يبدأ حياته موظفاً في وكالة الغوث، موظف يزود أهالي قطنة بأكياس من الطحين، ومنها إلى مرشد في مدرسة قطنة «وفي اليوم التالي بدأت جولتي الأولى في المدرسة بين الطلبة، فوجدت الأشخاص نفسهم الذين انتظروا وطلبوا مني رغيف الخبز من قبل، ولكن بهيئة أطفال وطلبة، طلبوه مني بصورة مختلفة».[10]

مرشد يبدأ حياته في التنقل بين القاعات بحثاً عن حلم المستقبل، ينتهي بحمل المعونة لأطفال من كان أهلهم لاجئين، معونة سواء أكانت أكياس طحين أم معرفة في معنى الحياة، فكلتاها معونة في صنع مادة الحياة أو معناها.

ويبدأ لقاء المرشد بطلابه عبر السؤال؛ سؤال الطلاب عن معنى المرشد، وكأنهم يحاكمون هويته «ولأول مرة أدخل غرفة الصف التي اعتدت أن أكون طالباً فيها بهيئة معلم – مرشد، أسئلة انهالت عليَّ كالمطر، ماذا ستعلمنا؟ ماذا يعني مرشد؟ أين كتاب الإرشاد؟ ولبرهة ارتسمت لدي كامل الاحتياجات التي احتاجها أولئك الطلبة، والتي تشابهت مع رغيف الخبز الذي كنت أسعى إلى إيصالهم لهم قبل عام».[11]

يفكر المرشد في معناه، في عمق هويته، «ما معنى أن أكون مرشداً، وما الذي سأقدمه لهم ويكون في قيمة رغيف من الخبز؟».[12]

انتكاسة المرشد واتساع هويته

قصة محمد عوض، حلقات متقاطعة من الشخصي والجمعي، من المقصود والعفوي، من الانتكاس والبطولة، من الهشاشة والصلابة، كأنها الارتباك الذي يطارد اليقين دوماً، ينهش عمقه البارد ليخطئه أو يعيد تصويب صوابه، فمن ارتباكات التخصص، إلى ارتباكات العمل بين توزيع الخبز أو الإرشاد، إلى التسمر أمام أسئلة الطلاب: ماذا يعني أنك مرشد؟ إلى النقلة الكبرى، نقل الخطة الإرشادية من غرفة الصف إلى غرفة السجن، ومن خطة العلاج التربوي في مدرسة قطنة إلى تجربة الإرشاد الاجتماعي والتثقيفي في معتقل «عوفر»، مروراً بتجربة رحلة العزل والدموع في زنازين المسكوبية.

فجأة، يجد المرشد ذاته أمام ارتباك جديد، واختبار هو في جوهره اختبار الهوية، كيف تتصرف كمرشد في غرفة أخرى؟ ليست غرفة صف، بل غرفة في معتقل سياسي ضاج بأشبال ومناضلين صغار، يتم قهرهم بأيدي من هو مسؤول عنهم «أطفال بعمر الزهور كانوا يملأون غرفة رقم 4، تسلط عليهم مسؤول الغرفة وأسرهم أسراً فوق أسرهم، أخذت على عاتقي مساعدتهم، ولثقتي بنفسي بأنني قادر على إنقاذهم، ولأنني رأيت فيهم طلبة المدرسة التي لم أمكث فيها أكثر من ثلاثة أشهر. عاودت الخطة نفسها، وخصصت الوقت الكافي لتنفيذها مع الأشبال في السجن، وبدأت أرقب ثمر جهدي لمدة شهرين».[13]

إذن، هو الاختبار الآخر، من كان يحلم أن يلبس البدلة الرسمية ليكون موظفاً في بنك، تحول لموزع طحين، ومنها إلى مرشد يقف أمام طلاب يسألونه عن نفسه، إلى معتقل يسأل نفسه أمام معتقلين صغار: ماذا علي أن أقدم لهؤلاء من موقعي كمرشد؟

لكن هذا السؤال لم يأتِ من حيز فارغ، ولم ينبت عن السؤال الأكبر، سؤال من أنا فحسب، بل قد تولد وعاش مع المرشد في اختبار العزلة، العزلة عن العالم في زنزانة ليمتحن كل ما كان قبل اللحظة قناعات فولاذية، في الزنزانة يسكب دموعه، أي دموع يسكبها مرشد كان مناضلاً وهو الآن معتقل معزول عن كل شروط القوة سوى ما يحمله في داخله، أي دموع حارة يسكب، أهي دموع الندم أم الدموع التي يسقي بها فولاذه من جديد؟

«52 يوماً من التحقيق قضيت الجزء الأكبر منها في زنازين العزل الانفرادي، لا أحدث أحداً سوى نفسي، ازدحمت الأفكار في نفسي لدرجة أنني شعرت أن قنبلة ستنفجر في رأسي، وشريط حياتي الذي كان يمر أمام عيني في اليوم خمسين مرة، فأرى أين أصبت، وأين أخطأت في حياتي. وأحياناً كنت أضع رأسي في زاوية الزنزانة وآخذ بالبكاء حتى أشعر أن جميع معاناتي خرجت مع تلك الدموع بلونها الأسود».[14]

لقد اختبرت الذات ذاتها، في مواضع عدة، وبكى البطل، بكى لأنه بقي وحيداً مع قناعات تبحث عن اكتمالها، وبكى عندما تحرر

وترك رفاقاً خلفه، وبكى عندما خرج إلى بيت غابت عنه سيدة الحنان الأولى.

إن محمد عوض تحرك بنا بين دمعتين وخطتين، دمعة من حزن الفراق في سجن المسكوبية، أو في وداع السجناء، وأخرى هي دمعة الحرية المجروحة، يذرفها المعتقل المنعتق من سجنه على قبر أم تركها حية قبل السجن وماتت وهي تحلم بلقائه.

ونرى في المسافة بين الدمعتين، خطة في الإرشاد والتثقيف تنمو وتمارس بين أطفال في المعتقل يحملون أسئلة الطلاب، وبين أطفال في المدارس يملكون هموم المعتقلين وحاجاتهم وأحلامهم.

محمد عوض مرشد يعمل في محل لبيع الأحذية، جدلية البائع والمرشد، يمارس فن الإرشاد في تسويق الأحذية، ويستعين في مناورات البيع في جذب طلابه لضيافته في فنون الإرشاد. «فصرت أسمع كلمة أستاذ في المحل أكثر منها في المدرسة . .. لماذا؟».[15]

تلك أنا .. وهذه هي القصة

إن القصة تروي مسيرة المرشد المرتبك، مرشد جمع بين فن الإرشاد وبين إرشاد الناس لشراء الأحذية، وبين توزيع الخبز أو توزيع خبز المعرفة. إن المرشد الذي يبيع الأحذية بقي يسير بنا بقدمين حافيتين في طريق يتمنى فيها أن يجد ما يرشده لنفسه، إلى معلمة ومرشد آخر ينفصل عن قصته ليراها أو يرويها، أي معنى لسرد تبدأه معلمة بعنوان تلك أنا، لماذا لم تستعمل هذه أنا، لماذا اختارت مسافة أبعد، لماذا وقفت بعيدة عن ذاتها، وقررت أن «تلك» ليست قصتها بل قصة هي؟

هل لأنها المرة الأولى التي يطلب منها أن تكتب عن ذاتها؟ أم هو شعورها بأن ما ستكتبه سيكون فرصة قد لا تتاح مرة أخرى؟

إن صناعة الذات بين معنى الأنوثة وأقنعة الرجولة، في رحلة تكوننا نتعلم فيها الحب والعطاء، نمارس الزراعة وقطف الثمر، ولا نرغب في وصفها بكونها عمق الأنوثة فينا، ثم تأتي الكوفية (اللثام) الفلسطيني فنقدمه كقناع لرجولة نصنعها، الأم الأرملة، كانت وفية لكل أنوثتها، بيتها أطفالها، أمومتها، الوفاء لذكرى زوجها، وكل هذه صفات للمرأة وجوهر إنسانيتها، لكن رفضها الزواج وتفرغها للعمل وصف أنه نوع من الرجولة، لماذا نسمي ذلك بالاسم الخطأ، هنا تحضر الكتابة لتصحح لنا أغلاطنا الكبرى، فالوفاء أنوثة، وهذا ما نرفض أن نراه ... الكتابة مطرقتنا التي نطرق بها كل شيء، تفلت من أيدينا وتطرقنا على رؤوسنا، الأم-المرأة التي تضحي وتزرع حلمها في الأرض، وتسقيه بعمرها ووفائها، هي امرأة عظيمة في ثياب امرأة وليست رجلاً في ثياب امرأة.

«وبدأت المرحلة الثانوية ... مرحلة صنع الرجال ... التحقنا بالانتفاضة الأولى ... وفرحت كثيراً عندما صرت «أتلثم» مع الشباب ... ورائحة الكوفية التي ما زلت احتفظ بها ... والتي علمتني الرجولة ورفض الذل ...».[16]

و«بدأ المشوار في حمل الفأس والمنجل مع جدي وأمي وعمتي ... وصرت أسرح وأمرح معهم في زراعة الأرض ... وقطف البامية». أمي التي رفضت الزواج من بعد موت أبي ... إخلاصاً له ... وحباً وخوفاً علينا من التشرد والضياع ... ضحت بريعان شبابها ... وحرمت أنوثتها من الظهور مرة أخرى ... قتلت كل المعاني ... وترجلت بصلابة من على المنبر، وأعلنت أن العمل والجد هما هدفها».[17]

ثائر صلاح يكتب قصته من مسافة بعيدة، يفصل نفسه عن قصته، فيستخدم ضمير هو، فالقصة هي قصة شخص آخر (يعبر عنه بضمير هو) وثائر صلاح يتابع هذا الشخص، وكأن ثائر الذي بدأ من مفارقة «طفل صغير يعيش في أسرة متوسطة الحال، أم بسيطة تربي أولادها وتعتني بهم»،[18] بدأ من أم، أم تربي وتعتني، ثم يحضر الأب في مهمة الكدح والحب معاً، لكنه يغيب مع حضور اليتم في القصة، اليتم مسافة عن الأب، غياب ما في الأسرة، لكن اليتم في قصص المعلمين والمعلمات، مسافة من العالم. ثائر صلاح يختار أن يجعل اليتم عنوان قصة وسيرة تجربة، هي تجربته التي تضعه على مسافة مع ذاته، هو على مسافة طويلة من مهنته، لقد جعل من

من أحد مساقات المدرسة الصيفية في الدراما - جرش 2014.

المدرسة قصة صراع بين حقيقتها وشكلها، فالمدرسة التي تفصل بين فعل الشخص وشكله هي مدرسة منفصلة عن محتواها ودورها، فالمدرسة ومديرها رأى قصة شعري ولم يرَ قصة إنجازاتي. ومعلمو المدرسة الصناعية رأوا معدلي ولم يروا يتمي، وثائر صلاح يؤشكل هذا الانفصال فينفصل عن ذاته بضمير هو السردي، ليسرد لنا قصة مهنة أو قصة بتفاصيلها ومفاصلها، قصة طالب ينتقل من المدرسة الخاصة بعد أن يسرح شعره بشفرة حلاقة بدل مشط الشعر، وينقل مصيره من التعليم الأكاديمي إلى التعليم المهني، ثم يقرأ كتاباً عن الخدمة الاجتماعية في جلسة تثقيفية في المعتقل، ليعيد توجيه تخصصه إلى تخصص الخدمة الاجتماعية.

فالطالب الذي حول توجهه من الأكاديمي إلى المهني بسبب أداة الحلاقة، وحرم من استكمال تخصص الهندسة الميكانيكية والكهربائية بسبب اليتم العائلي والاقتصادي، يعود إلى تخصص إدارة الأعمال، بعد أن جرب كل أنواع العمل، عمل مزارعاً، وجلى صحوناً، وفندقياً، وطاهياً، يدرس في الجامعة إدارة الأعمال بشكل نظري أكاديمي، كل هذا يعود مرة أخرى إلى دائرة التحول، نتيجة للاعتقال السياسي، ويحدث التحول نتيجة كتاب، كتاب في مجال الخدمة الاجتماعية، وفي سياق العمل التثقيفي، وفي جو سياق العمل النضالي يعيد الابن الذي يعيش مسافة الغياب، الغياب عن الأب، وعن الطالب الذي كان متفوقاً، كل هذا يعود من خلال خيار ثقافي اجتماعي، خيار العودة للمجتمع عبر التخصص، التخصص في برنامج أكاديمي في الخدمة الاجتماعية.

فكتابة قصة المهنة، هي نفسها كتابة للذات المتهنة بالحزن والمتحنة به، لا تقف الكتابة عند الذات التي تكتب تاريخها فحسب، بل تنفتح دوماً لتسجل التاريخ المكبوت في الذات نفسها، تاريخ الألم وألم الرماد الذي بعثنا منه لنقف من جديد بعد كل تجربة حريق. الكتابة للنفخ في الرماد، الرماد الذي ننهض منه بعد كل تجربة حريق.

امتحان الخطأ ... للبحث عن الصواب

«وجدت نفسي، ولأول مرة، أقف أمام الطلبة لأبدأ بالتعريف على نفسي، وقراءة دستوري الجديد الذي يجب على الطلبة اتباعه، بدأت مدججاً بتعليمات المجتمع، وكأنني أملي ما حفظته من كلمات «الطالب الذي يثير الشغب سيعاقب، وسوف نأخذ بحقه أقصى العقوبة، الفوضى ممنوعة داخل الصف. أشد ما أكره الحديث الجانبي».[19]

و«أنا أتلو هذا الدستور، أحسست بأنني لست أنا، لا أعامل الناس هكذا، والطلاب جزء من الناس».[20] هذا ما يقوله المعلم عمر خليفة. عمر يخطئ نفسه مرة ليمتحن صواب العالم، ويصوب نفسه مرة أخرى ليكتشف أخطاء العالم، «كيف وصلت بي الأمور أن أكون هذا الشخص، الذي يحق له أن يقرر دستوراً لصف كامل ويتلوه عليهم، وكل ما عليهم هو أن «يسمعوا ويطيعوا» ماذا أعلمهم؟ وأي دور أعده لنفسي عندما أعلم طلابي الطاعة فقط؟».[21]

وفي السياق الضد، تحكي علا بدوي «كنت أهبط الدرج ... باتجاه الطابق الأرضي حين لمحت حاوية النفايات السوداء عند أسفله. وكنت أحمل الخرطوم الأسود بيدي ومجموعة من الطلاب يسيرون في ممر الطابق الأرضي قريباً من الدرج. لا أدري لمَ شعرت لحظتها تحديداً أني راعية أغنام ... تأملت الطلاب للحظات قصيرة بدت أطول ما كانت حينها، قلت لنفسي «إنهم ليسوا أغناماً تساق بالعصا» ووجدتني ألقي بالخرطوم الأسود في الحاوية السوداء، لم يكن عندها في الممر سوى طالب واحد من الطلبة الكبار في العمر. ما زلت أذكر ابتسامته لي في تلك اللحظة. أظنها كانت ابتسامة حقيقية!».[22]

علا بدوي هنا أيضاً تخطئ شيئاً ما لتمتحن الصواب أو تبحث عنه، عالم كامل ممثلاً بنظام فرض عليها أن ترى البشر كعُصاة صغار، وتسوقهم بعصا، حملها العصا لترى الأطفال من خلالها، وتدير عملية نموهم وتنشئتهم، إذا كان ما تملكه هو مطرقة فسترى كل شيء مسماراً، وإذا ما توسطت العصا بينك وبين طلابك فهي من يحدد أفق الرؤيا وشكل العلاقة لتنتهي إلى مجتمع فيه راعٍ وأغنام.

«فهل هذه أنا؟ وهذا ما أريده لصفي ودوري وطلابي؟»،[23] هنا تلقي العصا في حاوية النفايات، تخلع عنها الشكل البشع للنظام؛ نظام الخوف من الطلاب بدل الخوف عليهم؛ نظام الضبط بدل نظام الحب، تخلعه لترى الأشياء وتحس بطلابها، لكي تعلمهم يجب أن تحبهم، ولكي تحبهم يجب أن تقترب منهم، ولهذا ألقِ العصا التي تقرر لك أنهم عصاة وترمز لهم أنك راع.

علا بدوي تخطئ العالم، لتكتشف صوابها، وكأن المعلمين والمعلمات وهم يكتبون الخطأ كسيرة للبحث عن الصواب، ويكتبون الصواب كطريقة لفهم معاني الخطأ، وبين الخطأ وكتابته، والصواب وتخطيه، تحضر فاعلية المعلم كشخص يبحث، «وما زلت أبحث عن شيء ما»،[24] هذا ما يراه المعلم عمر خليفة، يرى نفسه يبحث عن شيء ما، عمَّ يبحث المعلم؟ إن المعلم يبحث عن دوره، عن معنى عمله، عن مكانته وكرامته التي تعكس فهم المجتمع للعلم والتعليم ومدى تقديره لهما، يبدو لي أن ما يبحث عنه المعلم، أنه يبحث عن (حاله)، معلم يبحث عن حاله، عن نفسه.

فمعلم يجد نفسه، هو معلم تجاوز مفاهيم الصواب والخطأ، معلم عبر المسافة بين الغياب واليتم وبين الحضور الخاطئ، معلم بنى رحلة فعله ووجد أداة بصره وبصيرته، معلم يفعل ويتبصر في فعله هو معلم يعرف «حاله».

ماذا وراء الزمن

ماذا وراء القصة؟ وماذا بعد الجامعة؟ ما وراء القصة هو سؤال: عمَّ تبحث؟ وما بعد الجامعة هو سؤال: ماذا ستجد؟ وكأنك تملك الماضي لأنك عشته وأصبح أمامك، في حين أن المستقبل لا يزال خلفك، هكذا فهم «الهنود الحمر» حركة البشر، نحن نمشي للخلف، ماضينا أمامنا، ومستقبلنا خلفنا، ونحن وسيلة الانتقال ومادته معاً.

فلتسقط الرمزية ... عاشت الوردة الحية

لا يقف الخطاب الأيديولوجي عند اختراقه كلام المعلمين، كما يخترق ممارساتهم، بل يفصلهم أحياناً عن خلق معنى فعلهم ومتعتهم به، لأنه يفرض عليهم أجندة المعلم الرسول الذي يغرس ويزرع، لا المفكر الذي يحرّض وينشط، أو الناقد الذي يسأل ويسائل، أو الميسر الذي يخلق مواقف، ويبني إشكالات «ليتمكن المعلم من القيام بالتربية والتعليم في آن واحد، وغرس القيم الإنسانية والوطنية في نفوس طلابه وقلوبهم وعقولهم، وكذلك تزويدهم بالعلم النافع والواضح الذي سيساعدهم على بناء مستقبلهم ومستقبل دولتنا وامتنا»[25]

إن هذا الخطاب الرسولي المثالي المتعالي، وفي صده للمعلم عن حقائق الصف الصغيرة وعن حقائق ذاته ومشاعره الكبرى، ينكسر في لحظات التفاعل الصادق بين المعلمة وطالباتها، لأن حرارة الإنساني تنتصر لرسالة الورد على حساب رمزية الرسالة كفعل متعال.

«في كل صباح أتوق لتلك الرائحة التي كانت تملأ المكان، رائحة الخبز والشاي، رائحة الصيف، رائحة الشتاء، ذكريات تعود بي إلى الماضي، إلى مدرستي، ومعلماتي وكتبي وصفي، إلى شوقي لبدء يوم جديد والذهاب إلى المدرسة لأقطف وردة وأقدمها لمعلمتي المفضلة (رغدة) معلمة الرياضيات في الصف التاسع».[26]

إن انتقال الوردة من يد الطفلة إلى يد المعلمة، طفلة الأمس هي معلمة اليوم، وهناك طفلات جدد يقدمن لها الوردة، الطفلات يكبرن ويصبحن معلمات، والمعلمات يتغيرن، وحدها الوردة تبقى، تبقى لتحرس القصة وتحملها في ألوانها ورائحتها.

تخلق لحظات عصية على النسيان، لا تقبل التقادم «في لحظة هدوء وصمت، ارتسمت ابتسامة على وجهي حين عادت بي الذاكرة لسنوات بعيدة مضت»،[27] ليبقى للسرد رائحته، ويبقى للابتسامات سردها أيضاً. ويبقى تعليم الرياضيات بلغة الورد «وها أنا اليوم معلمة رياضيات تبتسم عيناي قبل شفتي عندما تقدم لي إحدى طالباتي وردة.[28] عندما تعلم الرياضيات بلغة الورد، يهبط المعلم من سماء الرسالة إلى أرض الطلاب الجميلة، فتسقط الموعظة وتبقى الوردة.

جانب من مشاركة الأطفال في فعاليات أيام العلوم الفلسطينية في غزة 2014.

الهوامش:

1 انظر قصة علا بدوي الواردة في هذا العدد.
2 المرجع السابق.
3 المرجع السابق.
4 المرجع السابق.
5 المرجع السابق.
6 المرجع السابق.
7 المرجع السابق.
8 انظر قصة سحر جبارين في هذا العدد.
9 انظر قصة محمد عوض في هذا العدد.
10 المرجع السابق.
11 المرجع السابق.
12 المرجع السابق.
13 المرجع السابق.
14 المرجع السابق.
15 المرجع السابق.
16 انظر قصة محمد غازي مرعي في هذا العدد.
17 المرجع السابق.
18 انظر قصة ثائر صلاح في هذا العدد.
19 انظر قصة عمر خليفة في هذا العدد.
20 المرجع السابق.
21 المرجع السابق.
22 انظر قصة علا بدوي في هذا العدد.
23 المرجع السابق.
24 انظر قصة عمر خليفة.
25 انظر قصة سحر جبارين في هذا العدد.
26 المرجع السابق.
27 انظر قصة رجاء سرور في هذا العدد.
28 انظر قصة سحر جبارين.